رسمية ابتدائية قليلة العدد ، لغة التعليم فيها التركية وليست العربية . وبذلك لم يقم فيها اي تعليم ثانوي او عال ، اذ لم يوجد فيها اية مدرسة اعدادية (ثانوية متوسطة) قط حتى سنة ١٨٨٩ ، ولم تنشأ فيها اية مدرسة ثانوية كاملة الا قرب زوال الحكم التركي سنة ١٩١٣ » [٣] وفي هذا دليل على ضيق انتشار التعليم ونوعه ومستواه .

ويمكننا ان نكون لانفسنا ملامح لصورة هذا التعليم وواقعه اذا عرفنا ، بالاضافة الى نوعية مدارسه ، ضعف المعلمين القائمين على هذه المدارس وتدني مستوياتهم الثقافية ، فهم ابناؤها ، وضعف الاشراف الحكومي عليها [٤] . ثم اذا عرفنا ان لغة التعليم فيها لم تكن اللغة العربية ، وانما اللغة التركية التي كانت تفرض لغة للتعليم على ابناء المسلمين ، اذ لم يكن يسمح بالتدريس باللغة العربية الا في مدارس الطوائف المسيحية وفي المدارس الاجنبية ، بالاضافة الى لغات هذه الطوائف والجهات الاجنبية التي تتبعها هذه المدارس ، وكانت كثيرة نسبيا في فلسطين بسبب ما للاراضي المقدسة من مكانة وتقدير لدى الدول الاجنبية . ولهذا فليس غريبا ان نرى التعليم العربي الحديث والنهضة الادبية الحديثة يقومان على ايدي ابناء هذه البلاد المسيحيين قبل ابنائها المسلمين ، الذين انحصرت فرص التعليم امامهم تقريبا في المدارس الوقفية المتخلفة ، وفي المدارس الرسمية التي كانت تعلم باللغة التركية . وامام الامكانات المحدودة التي فرضتها سياسة الحكومة التركية لم يتح للرعيل الاول من ادباء هذه البلاد الذين نشأوا في ظل الامبراطورية ان يصيبوا قسطا كبيرا من التعليم ، فظلوا يدورون في دائرة علوم النحو والفقه قراءة وتأليفا ، شرحا واختصارا دونما ابتكار أو اصالة ، مثلهم في ذلك مثل اندادهم في البلاد العربية الاخرى ، ما عدا مصر ولبنان الى حد ما . وهكذا تجمدت الوان الحياة الثقافية الى حد كبير على بعض الموروث من العلوم اللغوية والشرعية ، فكانت تعقد لها الحلقات الصغيرة والمجالس في مساجد المدن الكبرى ، وبخاصة في المسجد الاقصى في بيت المقدس ، وفي جامع الجزار في عكا .

وتكتمل صورة الحياة الثقافية المتقهقرة في فلسطين اذا اخذنا بعين الاعتبار ضعف صلتها الثقافية بالعالم الخارجي : فقد كانت « طوال القرن الماضي منقطعة او كالمنقطعة »[٥] ، بخلاف لبنان ومصر : اذ لم تكن تتاح الفرصة الا لقلة من ذوي الثراء يوجهون ابناءهم في طلب العلم واستكمال الدراسة الى بيروت او طرابلس الشام حيث المدارس السلطانية (الثانوية) ، او الى الآستانة حيث المدارس الثانوية والعالية المختلفة ، او الى مصر للمجاورة في الازهر الشريف بخاصة . وقليلون جدا كانوا يؤمون بعض دور العلم في اوروبا ، وبخاصة في فرنسا . ومن الجدير بالذكر انه لم يكن لهؤلاء اثر كبير في حياة بلادهم الثقافية او نهضتها العامة ، الا أنهم لم يكونوا يعودون للحياة او للعمل فيها ، لاحساسهم بانها تضيق عن امكاناتهم وثقافتهم ، فسرعان ما كان من يعودون منهم الى بلادهم يحسون بالغربة وبالاختناق الثقافي والاجتماعي في بيئاتهم المتخلفة الى حد الجمود ، فيهجرونها الى بلد آخر داخل الامبراطورية او خارجها ليجدوا المناخ الثقافي واجواء الحياة الأكثر مناسبة ، يساعدهم على ذلك كون الاقطار الداخلية مفتوحة الحدود ضمن امبراطورية واحدة وتخضع لحكم مركزي موحد . اما اولئك الذين كانوا يعودون الى مدنهم وبلادهم حتى في مطالع القرن العشرين ، فقد كانوا « بحكم طبيعة ثقافتهم وتحصيلهم العلمي بقية من قديم وليسوا بداية لجديد ، حفظوا اطرافا من التراث التليد ، ولكنهم لم